تعرفها العامي فضلاً عن العالم ومن هذه الخطبة فاهجروا رحمكم الله وبئر المراقد وادخروا اطيب المكتسب تخلصوا المرتقاد
النا فذ واغتنموا فسحة المهل قبل انسداد المقاصد واقتحموا سبل الآخرة على قلة المرافق والمساعد فهل تجد متصفح الكلام
لهذا الفصل عذوبة او معنى يمدح الكلام لاجله وهل هو الا الفاظ مضموم بعضها الى بعض ليس لها حاصل كما قيل في شعر
ذي الرمة بعر ظباء ونقط عروس ومن ذلك فيا له من واقع في كرب الحشارج مضارع لسكرات الموت معالج
حتى درج على تلك المدارج وقدم بصحيفته على ذي المعارج وغير خاف ما في هذا الكلام من التكلف ومن ذلك قوله
فكانكم بمنادي الرحيل قد نادى في اهل الاقامة فاقتحموا بالصغار محجة القيامة يتلوا الاوايل منهم الاواخر ويتبع
الاكابر منهم الاصاغر ويلحق العوامر من ديارهم بالغوامر حتى تبتلع جميعهم الحفر والمقابر فان هذا الكلام ركيك جدا
لو قاله خطيب من خطباء قرى السواد لم يستحسن منه بل استركّ واسترذل ولعل عايبا يعيب علينا فيقول اترغم
في المقايسة والموازنة بين كلام امير المؤمنين عم وبين كلام ابن نباتة وهل هذا الا مثل قول من يقول السيف امضى
من العصا وفي هذه غضاضة على السيف فنقول انه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى وبين
كلام البشر ليتبينوا فضل القران وزيادة فصاحته على كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعم ولكم في القصاص حيوة وبين
قول القايل القتل انفى للقتل ونحو مقايستهم بين قوله تعم خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وبين قول
الشاعر فان عرضوا بالشر فاصفح تكرما وان كتموا عنك الحديث فلا تسل ونحو ايرادهم كلام مسيلمة واحمد بن سليمان
المعري وعبد الله بن المقفع فصلا فصلا والموازنة والمقايسة بين ذلك وبين القران المجيد لايضاح انه لا يبلغ ذلك
الى درجة القران العزيز ولا يقاربها فليس بمستنكر منا ان نذكر كلام ابن نباتة في معرض ايرادنا كلام امير المؤمنين عم
ليظهر فضيلة كلامه عم بالنسبة الى هذا الخطيب الفاضل الذي قد اتفق الناس على انه اوحد عصره في فنه واعلم
انا لا ننكر فضل ابن نباتة وحسن اكثر خطبه ولكن قوما من اهل العصبية والعناد يزعمون ان كلامه يساوي كلام امير
المؤمنين عم ويماثله وقد ناظرني بعضهم في ذلك فاحببت ان ابين للناس في هذا الكتاب انه لا نسبة لكلامه الى
كلام امير المؤمنين عم وانه بمنزلة شعر الابله وابن المعلم بالاضافة الى زهير والنابغة واعلم ان معرفة الفصيح والافصح
والرشيق والارشق والحلو والاحلى والعالي والاعلى من الكلام امر لا يدرك الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدلالة المنطقية
عليه وهو بمنزلة جاريتين احديهما بيضاء مشربة حمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العينين اسيلة الخد دقيقة
الانف معتدلة القامة والاخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها احلى في العيون والقلوب منها وابوء
املح ولا يدرى لاي سبب كان ذلك ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى
الفرق بين الموضعين ان حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة واما الكلام
فلا يعرفه الا اهل الذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة او بالفقه كان من اهل الذوق وممن يصلح لانتقاد
الكلام وانما اهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسايل والخطب والكتابة والشعر
وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فالى اولئك ينبغي ان ترجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض ان كنت
عادما لذلك من نفسك **الاصل** منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حقر الدنيا وصغرها واهون بها وهونها
وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب
ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ويرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة
مبشرا وخوف من النار محذرا **الشرح** فعل مشددا للتكثير فقلت اكثر من تلت فيقتضي قوله عم قد حقر الدنيا زيادة
تحقير النبي ص لها وذلك ابلغ في الثناء عليه وتقريظه قوله عم وصغرها اي صغرها عند غيره ليكون قوله واهون بها
وهونها مطابقا له اي اهون هو بها وهونها عند غيره وزواها قبضها قال عم زويت الى الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وقوله **اختيارا** اي قبض الدنيا عنه باختيار ورضا من النبي ص لذلك وعلم بما فيه من رفعة قدره ومنزلته في الاخرة **و**
الرياش والريش بمعنى وهو اللباس الفاخر كالحرم والحرام والكبس واللباس وقرئ وريشا ورياشا ولباس التقوى ذلك

انقبض عنه الدنيا
وما انبعاد بالبرم
كما صرح

٢٠

c19

خير ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله **ومعذرا** اي مبالغا اعذر فلان في الامر اي
بالغ فيه **الاصل** نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر
الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة **الشرح** هذا الكلام غير ملتصق بالاول كل الالتصاق وهو من النمط الذي
ذكرناه مرارا ان الرضي رحمه الله يقتضب فصولا من خطبة طويلة فيوردها ايرادا واحدا وبعضها منقطع عن البعض قوله
عم نحن شجرة النبوة كانه جعل النبوة كثمرة اخرجتها شجرة بني هاشم **محط الرسالة** منزلها ومختلف الملائكة موضع اختلافها
في صعودها ونزولها والى هذا المعنى نظر بعض الطالبيين يفتخر على بني عم له ليسوا بفاطميين هل كان يعتقد البراق
ابوكم ام كان جبريل عليه ينزل ام هل يقول له الاله مشافها بالوحي قم يا ايها المزمل وقال آخر يمدح قوما فاطميين و
يطرق بالوحي وهنا وانتم ضجيعان بين يدي جبريل يعني حسنا وحسينا عليهما السلم **واعلم** انه لو اراد بقوله نحن مختلف
جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله فلا ريب في صحة القضية وصدقها وان ارادها نفسه وابنيه فهي ايض
صحيحة ولكن مدلولها مستنبطة فقد جاء في الاخبار الصحيحة انه قال يا جبريل انه مني وانا منه فقال جبريل وانا
منكما **وروى** ابو ايوب الانصاري مرفوعا لقد صلت الملايكة علي وعلى علي سبع سنين لم تصل على ثالث لنا وذلك قبل
ان يظهر امر الاسلام ويتسامع الناس به وفي خطبة الحسن بن علي عليهما السلام لما قبض ابوه لقد فارقكم في هذه الليلة
رجل لم يسبقه الاولون ولا يدركه الاخرون كان يبعثه رسول الله للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وجاء
في الحديث انه سمع يوم احد صوت من الهواء من جهة السماء لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وان رسول الله صلى الله
عليه وآله قال هذا صوت جبريل فاما قوله ومعادن العلم وينابيع الحكم يعني الحكمة او الحكم الشرعي فانه وان عنى بها نفسه
وذريته فان الامر فيهما ظاهر جدا قال رسول الله ص انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد المدينة فليأت الباب وقال
اقضاكم علي والقضاء امر يستلزم علوما كثيرة **وجاء** في الخبر انه بعثه الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله انهم كهول وذوو
اسنان وانا فتى فربما لم اصب فيما احكم به بينهم فقال له اذهب فان الله سيثبت قلبك ويهدي لسانك **وجاء**
في تفسير قوله تعم وتعيها اذن واعية سالت الله ان يجعلها اذنك ففعل **وجاء** في تفسير قوله تعم ام يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله انها انزلت في علي عم وما خص به من العلم **وجاء** في تفسير قوله تعم افمن كان على
بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ان الشاهد علي عم **وروى** المحدثون انه قال لفاطمة عليها السلام زوجتك اقدمهم
سلما واعظمهم حلما واعلمهم علما **وروى المحدثون** ايض عنه ص انه قال من اراد ان ينظر الى نوح في عزمه وموسى في علمه
وعيسى في ورعه فلينظر الى علي بن ابي طالب وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جدا لم يلحقه احد فيها ولا قاربه
وحق له ان يصف نفسه بانه معادن العلم وينابيع الحكم فلا احد احق به منه بعد رسول الله ص **فان قلت** كيف قال
عدونا ومبغضنا ينتظر السطوة ونحن نشاهد اعداءه ومبغضيه لا ينتظرونها **قلت** فلما كانت منتظرة لهم ومعلومة
بيقين حلولها بهم صاروا كالمنتظرين لها وايض فانهم ينتظرون الموت لا محالة الذي كل انسان ينتظره ولما كان
الموت مقدمة العذاب وطريقا اليه جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده **الاصل** ومن خطبة له عم ان افضل ما
توسل به المتوسلون الى الله سبحانه وتعالى الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص
فانها الفطرة واقام الصلوة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من
العقاب وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنساة
في الاجل وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنايع المعروف فانها
تقي مصارع الهوان افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد و
اقتدوا بهدي نبيكم فانه افضل الهدي واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القران فانه احسن الحديث
وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص وان
العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحاير الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله

نزلت

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)